4– يستوعب النسق الثقافي هذا العامل الجديد ما لم يحدث اختراعات جديدة تسبب التشويش المستمر.

وعلى الرغم من الصلة الوثيقة بين التغير الاجتماعي والتغير الثقافي إلا أنه ما زال في الإمكان التفرقة بينهما على الأقل من الناحية النظرية على أساس أن التغير الاجتماعي يعني التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائفه، ولهذا فهو جزء من موضوع أوسع يطلق عليه "التغير الثقافي" وهذا الأخير يشمل كل التغيرات التي تحدث في كل فرع من فروع الثقافة، بما في ذلك الفن والعلم والتكنولوجيا والفلسفة، كما ويشمل فوق ذلك التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد التنظيم الاجتماعي.

فالتغير الثقافي أوسع بكثير من التغير الاجتماعي..

**المبادئ الأساسية للتغير الثقافي:**

1 – كثير من المميزات الأساسية مثل الديمقراطية، العلم، والمستوى المرتفع للحياة هي أمور جديدة بالنسبة للإنسان لم يسبق وأن اختبرها، ولذا فإنه غالباً ما يجد صعوبة في معرفة ماذا يفعل بها.

2 – التغير الثقافي حتمي، ولا توجد أية ثقافة لا تظهر فيها دلائل التغير.

3 – العوامل المؤدية للاستقرار والعوامل المؤدية للتغير هي مظاهر موروثة للثقافة.

4 – تتغير الثقافات بمجموعات متباينة بعضها يتغير بسرعة والآخر ببطء.

5 – تتغير الثقافة بإضافة سمات لها أو فقدان سمات منها أو تغير في سمات موجودة.

6 – تنشأ عناصر ثقافية جديدة في ثقافة معينة ويسمى ذلك بالاختراع أو تأتي من ثقافات أخرى ويسمى اقتباس..

7 – يشمل الاختراع بصورة حتمية استعمال العناصر الثقافية الموجودة ولكن بتركيب جديد.

8 – جميع المجتمعات باستثناء بعض المجتمعات البدائية، وجدت راحتها (أشبعت رغباتها) عن طريق الاقتباس أكثر من واسطة الاختراعات الخاصة بها.

9 – معظم الاختراعات تمثل تعديلات أو تغييرات صغيرة في تفصيلات الثقافة، بينما الطابع الأساسي للمجتمع يبقى دون تغير جوهري.

10 – إن تأثير الاختراعات بعيد المدى حتى أنه يتعذر التنبؤ بما يتغير من مجموع ثقافة ما بسبب شيء جديد.

11 – إن العامل الرئيسي في انسجام مهارة جديدة أو فكر جديد مع ثقافة قائمة هو كيفية تلاؤم هذا الشيء داخل النظام القائم.

إن معظم عمليات التغير الثقافي، سواء كانت بالاستعارة أو التمدين أو الانتشار أو التثقيف أو فرض الثقافة، جميعها تنبع من عمل الإنسان، ولكن البيئة بين آن و آخر تلعب دوراً رئيسياً في تغيير الثقافة.

**نظريات التغير الاجتماعي**

**أولاً: النظريات الحتمية :**

وهي تلك النظريات التي تركز في دراستها للتغير الاجتماعي على عامل واحد فحسب،وتفترض كل نظرية ان عاملا واحدا كالاقتصاد او المناخ او غيرها هو العامل الوحيد الذي يحرك العوامل الاخرى , ولذلك فإن هذه النظريات توصف بأنها نظريات اختزالية، أي أنها تختزل كل العوامل في عامل واحد،وهذا العامل هوالعامل الكافي وحده لحدوث التغير, ويكمن هذا المعنى في مفهوم الحتمية (Determinism) فهذا المفهوم يشتق من الكلمة اللاتينية (Determinant) ومعناها يحدد، ولذلك فإن الحتمية تفترض أن الأمور محددة سلفاً، وأن المهمة الملقاة على عاتق الباحث هي اكتشاف جملة الشروط المسبقة التي تعين حدوث ظاهرة من الظواهر، وعندما استخدمت الكلمة في الفكرة الاجتماعي، فإنها أصبحت تعني البحث عن السبب الوحيد، الأصل الكامن خلف حدوث كل الظواهر، أو الذي ترتبط به كل المتغيرات كمتغيرات تابعة بالضرورة. ولقد انقرضت هذه الحتميات من التفكير العلمي ولكن نذكر نظريتين من هذه الحتميات

**أ – الحتمية الجغرافية:** هناك اعتقاد قديم بأن ثمة علاقة بين طبيعة الطقس الذي يعيش فيه الإنسان وبين طابعه الاجتماعي ولقد تأثر المنظرون الاجتماعيون الأوائل بهذا الاعتقاد، وحاولوا من خلاله أن يميزوا أوجه التشابه والاختلاف بين البشر، وكانت النتيجة نظرية شاملة في الحتمية الجغرافية.

من أشهر علماء هذه النظرية **هنتنجتون** حيث استخدمها لا في تفسير تغير الاختلاف بين البشر فحسب بل في تفسير تغير المجتمعات، فقد ذهب إلى القول بأنه إذا كانت الظروف الجغرافية هي التي تحدد صفات الناس وسلوكهم، فإن هذه الصفات وذلك السلوك لن يتغير إلا إذا تغيرت الظروف الجغرافية.

**ب – الحتمية البيولوجية:** تأسست على فرضية مؤداها أن الناس في العالم ينقسمون إلى أجناس، وجماعات متميزة بيولوجياً، وأن الأجناس تختلف في قدرتها على تطوير الحياة الاجتماعية وتنميتها، وأن نوعية الحياة لدى شعب من الشعوب هي مؤشر على قدراتها البيولوجية-العرقية، وفي ضوء ذلك تتبلور الفروق بين الشعوب، كما تفسر التغيرات الاجتماعية التي تظهر لدى هذه الشعوب، سواء التغيرات السلبية (المرتبطة بالتخلف او التقهقر الحضاري) أو الإيجابية التي تفسر بظهور أشكال من التفوق الكامن في شعب من الشعوب.

وتقوم الحتمية البيولوجية على فرضية سادت في مجتمعات قديمة، وهي تلك الخاصة بتفوق طبقات داخل المجتمع على طبقات أخرى، وارتباط هذا التفوق بالخصائص البيولوجية، وظهرت هذه الفكرة في الحضارة اليونانية التي ظهر فيها الاعتقاد بأن هناك أناساً ولدوا ليحكموا وآخرين كرعية.

ولقد لعب دي جوبيون دوراً في ترويج هذه الفكرة من خلال بحثه عن تفاوت السلالات البشرية الذي ربط فيه بين تفوق شعب على آخر أو انحطاطه.

ومن المتغيرات البيولوجية التي يتم التركيز عليها:

1 – أثر التفاوت الوراثي على التغير الاجتماعي.

2 – أثر التفاوت بين الأفراد في الذكاء والإمكانات الجسمية والنفسية المختلفة (دور الزعامة الكاريزمية).

3 – أثر البيئة الصحية العامة على تطور الشعب ونموه الاقتصادي والاجتماعي.

4 – أثر الانتخاب الطبيعي والاصطناعي على الأشكال المختلفة لهرم السكان. ( نسبة عدد الذكور إلى عدد الاناث , نسبة المواليد إلى الوفيات , نسبة الكبار إلى الصغار )

أوجه النقد الموجه للنظريات الحتمية: (اسباب رفض التفكير العلمي لهذة الحتميات )

1 – أنها نظريات اختزالية ذات نظرة أحادية.

2 – أنها نظريات متحيزة تميل إلى تبرير أفكار بعينها كتفوق شعب من الشعوب او سيطرة شعب على شعب اخر .

3 – أنها نظريات غير علمية لأنها تؤكد سبباً واحداً دون تمحيص علمي دقيق في الاسباب الاخرى.

4 – أنها قد أدت إلى كثير من الصراعات بين الشعوب فويلات الحرب العالمية الثانية لم تنتج الا من احساس بالتفوق العرقي من جانب الالمان .

5 – أنها ولدت أشكالاً من العنصرية السياسية التي يعاني منها عالمنا المعاصر كالعنصرية الصهيونية والعنصرية ضد السود في جنوب افريقيا .

**ثانياً: النظرية التطورية:** تركز على تطور المجتمعات **:**

انتشرت في القرن التاسع عشر، وكانت متوازية مع النظريات الحتمية،وان كانت تستمد جذورها من الفلسفات القديمة ولقد ظهرت النظريات التطورية من خلال الاعتقاد بأن المجتمعات تسير في مسار واحد محدد سلفاً عبر مراحل يمكن التعرف عليها ويتفق التطويريون على هذة القضية ولكنهم يختلفون في :

ثلاثة قضايا الاولى تتصل بمراحل التطور أي عدد المراحل التي يمر بها مسلك التطور الاجتماعي والثانية حول العامل الرئيسي المحرك للتطور والثالثة تتصل بوجهة التطور.

**أ – النظريات الخطية :** أي انها في خط مستقيم .

توصف بأنها تهتم بالتحولات التقدمية المستمرة أو المطردة الموصلة في النهاية إلى هدف محدد ويمر المجتمع في حالة تحوله نحو تحقيق هذا الهدف بمراحل أو خطوات ثابتة، وتعتبر هذه الفكرة قديمة ظهرت في فلسفة الإغريق، وأعيد أحياؤها في عصر التنوير على يد العالم فيكو الذي حدد مسار المجتمعات في ثلاث مراحل اساسية في ضوء علاقة الانسان بقوى ما فوق الطبيعة وقويت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر عندما انشغل المفكرون الاجتماعيون بالبحث عن الأصول الأولى لمجتمعاتهم.

سار الفكر التطوري المبكر في خطين رئيسيين في تحديده لمراحل التطور:

1 – التركيز على عنصر واحد من عناصر الحياة الاجتماعية أو الثقافية وتحديد المراحل الزمنية التي سارت فيها المجتمعات وفقاً لهذا العنصر وهكذا مال بعض التطويريين إلى التركيز على الجوانب الاقتصادية كالقول بن المجتمعات مرت بمرحلة الصيد ثم الرعي ثم مرحلة الزراعة .

2– بدلاً من التركيز على عنصر واحد مال بعض التطوريين إلى النظر للتطور الكلي في البناء الاجتماعي أو الثقافي، وتحديد المراحل بشكل كلي دون التركيز على عنصر بعينه، ومن الأمثلة على ذلك نظرية أوجست كونت في تطور المجتمعات من المرحلة الوضعية، ونظرية ماركس في التحول من المجتمع المشاعي إلى الإقطاعي إلى الرأسمالي إلى الاشتراكي، ونظرية لويس مورجان عن التحول من المجتمع البدائي إلى البربري، إلى الحضارة، ونظرية سبنسر في التحول من المجتمع العسكري إلى الصناعي، ذلك التحول الذي يصاحبه تحول من حالة التجانس المطلق إلى حالة اللاتجانس غير المستقر.

وسواء ركزت النظرية على متغير واحد أو ركزت على المجتمع ككل، فإن التطورية الخطية تتميز بتحديد مراحل تقدمية تسير نحو هدف محدد.

ويكمن الخلاف بين المفكرين التطوريين في عنصرين أساسيين: الأول يرتبط بعدد مراحل التطور، والثاني يرتبط بطبيعة العامل المحرك للتغير.

فأوجست كونت يرى أن الإنسانية تسير سيراً تلقائياً تقدمياً، والتقدم في نظره سير اجتماعي نحو هدف معين، وهذا السير يخضع لقوانين ضرورية هي التي تحدد بالضبط مداه وسرعته،

- ويستدل كونت على خضوع الإنسانية لظاهرة التقدم والارتقاء المطرد، بأنها مرت بثلاث مراحل هي: الحياة الاجتماعية في العصور القديمة والحياة الاجتماعية في القرون الوسطى المسيحية، ثم التنظيم الاجتماعي الذي قام غداة الثورة الفرنسية.

والتقدم الاجتماعي في نظره مظهر من مظاهر التطور العقلي، وقوانينه مستمدة من قوانين تطور الفكر التي تصور انتقال التفكير الإنساني من المرحلة اللاهوتية إلى المرحلة الفلسفية الميتافيزيقية، ثم المرحلة العلمية الوضعية، وهذا قانون ظاهر الخطأ ومن ثم فكل ما يقوم عليه من آراء وتصورات لا يعد صحيحاً بصورة قاطعة.

- هنري مورجان في كتابه (المجتمع القديم) يفترض أن مراحل التطور التكنولوجي ونظم القرابة ترتبط بمختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية.

ولقد وصف تقدم النوع الإنساني من خلال ثلاث مراحل رئيسية للتطور:المرحلة البدائية والمرحلة البربرية ومرحلة المدنية،

كما قسم كلاً من المرحلتين البدائية والبربرية إلى ثلاثة أقسام عليا ووسطى ودنيا:

1 – المرحلة الدنيا من المرحلة البدائية وهي تبدأ منذ نشأة الجذور الإنسانية وحتى بداية الفترة التالية.